II. صدمة المستقبل الثانية : ملامح الموجة الرابعة

II. صدمة المستقبل الثانية : ملامح الموجة الرابعة

أولاً : الموجة الرابعة : إجتهادات سابقة :

عندما توصلت فى نقدى الخاص لمشروع توفلر إلى مفهوم «الموجة الرابعة» ، رجعت إلى واحد من أهم محفزاتها ... الإنترنت ، وسألت شبكة الشبكات العالمية عمن يكون قد تحدث عن الموجة الرابعة . ودهشت من رقم المواقع التى تحمل هذا المصطلح – أكثر من ثمانمائة ألف موقع !!! أغلب هذه المواقع لشركات تصف منتجاتها بذلك ، ومكاتب إستشارية وإعلانية ، ومواقع روحية وفنية ... إلخ . ومن بين مئات المواقع التى حرصت على استعراضها قدر الإستطاعة ، وجدت عدداً قليلاً جداً يعالج المفهوم . وهذا يكفى للاعتراف بأن هنالك من تعرض له من قبل فى تسعينيات القرن الماضى، حتى وإن اختلفت المعالجة . كما يكفى للإعتراف بفضل الإنترنت فى منعى من الوقوع فى براثن التصور المراهق للإحساس بالسبق ، القائم على الجهل !! لا أنكر أن السبق – إذا كان موضوعيا وصادقا – يعد مصدر سعادة لمن يحرزه ، لكن نيوتن علمنا أننا لا نرى أبعد ممن سبقنا إلا لأننا نقف على أكتافهم . وإن كنت أستبقى «إمكانية» السبق فى المعالجة «الموضوعية» لمفهوم الموجة الرابعة ، ذاكراً التحفظ «الصادق» فى عدم إستعراض الآلاف المؤلفة من المواقع ، التى قد تأتى موجة خامسة وسادسة قبل الإنتهاء منها !!

وقبل الإسترسال فى معالجتنا الخاصة للموجة الرابعة ، أود أن استعرض ما يتعلق بالمفهوم العام فى المواقع المذكورة . إننى أؤكد هنا على المفهوم العام ، الذى ينظر إلى «الموجة الرابعة» باعتبارها التالية «للموجة الثالثة» التى عالجها توفلر ، وما زال الحديث عنها يحتل أكثر من مليون وربع المليون موقع على الإنترنت كما ذكرنا . فبجانب المفهوم العام ، هنالك المفاهيم الجزئية للموجة الرابعة فى مجالات عديدة : الديمقراطية ، الإرهاب ، الهجرة ، الحركات النسائية ، إدارة العمليات ، البزنس ، أجيال الذكاء الاصطناعى والصواريخ الذكية ... بل وتكوين الصخور !! إننى لا أقلل من هذه المفاهيم الجزئية ، بل اعتبرها تصب فى المفهوم العام ، سواء الذى تعرضت له المواقع القليلة

الأخرى، أو الذى نقدمه هنا إن استجابة هذه المجالات الجزئية وغيرها للآثار بعيدة المدى للتقدم العلمى والتكنولوچى كانت وراء التفاعل المتسلسل والتضخيم اللذين ولدا الموجة الرابعة .

إن من تعرضوا للمفهوم العام للموجة الرابعة أو المفهوم الخاص الذى يجرى تعميم خطابه ، ممن زرنا مواقعهم ، يمكن تصنيفهم وفقا لخطاباتهم الخاصة إلى ثلاثة فرق ، دون إدعاء الفرقة بينهم :

* الفريق الأول ، الذى يمثله مايكل باونز ، يتبنى مفهوم النهاية المحتومة لكل موجة تحقق أهدافها ، وتسلم القياد لغيرها . إن هذا الطرح هو الأكثر قربا من المفهوم العام الذى نعنيه هنا ، بصرف النظر عن أوجه الإتفاق أو الاختلاف مع شروحه . فلا شك أن الحديث عن موجة قادمة يرتبط بفقدان سابقتها لقوة إندفاعها ، أو بتحقيقها لأهدافها ، وظهور متغيرات جديدة أفرزتها ، يمكن بتجمعها أن تشكل موجة جديدة فى حد ذاتها . وبناء على هذا الإطار المفهومى ، يمكن القول بأن الموجة الأولى (الزراعية) قد حققت أهدافها بتحقيق القدرة على توفير الغذاء ، بشكل لم يكن ممكنا فى ظل مجتمعات جمع الثمار والقنص . كما حققت الموجة الثانية (الصناعية) أهدافها أيضاً بتوفير وتنظيم وسائل الإنتاج، وركبت بذلك على الموجة الأولى مؤدية إلى تقادمها . وهذا ما فعلته الموجة الثالثة (المعلومات والمعرفة) بدورها مع الموجة الثانية ، بما أحدثته من وفرة فى المعلومات وسبل توزيعها ، وما نجم عن ذلك من تغير نوعى فى حياة البشر . فماذا جرى بالنسبة للموجة الثالثة ؟ ذكر باونز ، فى مقال له بعنوان «الموجة الثالثة فى مواجهة الموجة الرابعة» ، أن وفرة المعلومات أدت إلى «حمل معلوماتى زائد» information overload جعلنا ندخل فى ما أسماه «العصر الإفتراضى» virtual era ، عالم إفتراضى من المعلومات المنهمرة والمتدافعة بشكل يدير العقول التى أنتجتها. هذه فى رأيه الموجة الرابعة التى نواجهها ، وهى فكرة مجردة ذكية ، أشار إليها البعض دون إعطائها صفة الموجة . ولذلك هى تحتاج إلى الاستكمال «وتجسيد» ملامح هذه الموجة المجتمعية والثقافية بشكل عام .

* وهنال فريق آخر يتعامل مع الموجة الرابعة من منطلق إيكولوچى ، ويحاول

تقديم ما يسميه «بالرؤية المعيارية للمستقبل» فى ضوء اعتبار أن «الحمل الإيكولوچى» ecological load الذى نجم عن أنشطتنا (عبر الموجات السابقة ؟) يمثل الدافع الأعظم للتغير . يعبر عن هذا الرأى أوليڤر ماركلى، فى مشروع شعاره : مستقبل «سفينة الفضاء الأرضية» : الموجة الرابعة . ورغم ما قد يراه البعض من أن تصور الموجة الرابعة ، من هذا المنطلق الإيكولوچى ، يعد تصوراً جزئياً محفوفاً فى بعض معالجاته بنبرة صارخة تصل أحيانا إلى درجة معاداة «التقدم» ، إلا أن الاتجاه إلى وضع كل الأنشطة البشرية فى إطار إيكولوچى وبيئى ، يعد إتجاهاً جديراً بالاحترام ، ولا يخلو من درجة كافية من العمومية ، باعتبارنا جزء من هذا النظام الإيكولوچى ، نتأثر به ونؤثر فيه بشكل محسوب علينا ، خصوصاً وأنه لا يتعلق بنا وحدنا ، بل وبالأجيال القادمة من حولنا . كما أنه لا يتعلق بمغامراتنا الأرضية وحدها ، ولكن بمغامراتنا الآخذة فى التزايد خارجها . إنه يتعلق بمدى وشكل مسئوليتنا الأرضية والكونية معا !!! ومع قيمة هذا الطرح بشكل عام ، إلا أن «علمية» جوانبه المختلفة يجب أن تتعرض للنقد الموضوعى . وكنموذج لذلك ، نرى توم هوفمان فى دراسة للحصول على الماجستير فى الدراسات المستقبلية من جامعة هيوستن التى يعمل بها ماركلى نفسه ، تقدم بهذا النقد (كم من تلاميذنا يستطيع نقدنا دون مخاطرة ؟!) فبعد أن يؤكد انتقال ماركلى من «نموذج تكشف الاتجاهات» الأقل علمية إلى نماذج بناء السيناريوهات ، ويشير إلى عرضه لما يوجه من نقد لأفكاره بأمانة ، يوضح هوفمان ما يراه أهم نقطة ضعف عند ماركلى ، المتمثلة فى اعتماده على مفهوم «الوعى الكوكبى» glofal consciousness الذى لم ينضج بعد . هذا المفهوم كثيراً ما يقود أصحابه إلى تبنى تصورات خيالية غير علمية ، تجعلهم يضمنون أفكارهم فى «نسق عقلى» غير قابل للظهور فى المستقبل القريب على الأقل . ويركز بعد ذلك على نقد ثلاثة مكونات فى ورقة ماركلى : بزوغ الموجة الرابعة ، الحمل الإيكولوچى كدافع أكبر للتغير ، وأهمية توضيح مسئوليتنا البشرية ، كقضية مهيمنة فى الورقة .

وقبل التطرق للنقد ، من حق ماركلى أن نشير إلى بعض أفكاره عن الموجة الرابعة . فهو يرى أن المستقبل يحمل لنا تحديات كاسحة تستحق المواجهة : النمو السكانى ، التدهور البيئى ، الممارسات الشرسة للرأسمالية الغربية ، والتطبيقات المنهمرة للتكنولوجيات الجديدة . ثم يذكر ما يعده من «تكنولوجيات التمكين» enabling techmalagin فى مواجهة ذلك : حفظ الطاقة – الاستفادة من المواد الجديدة – الهندسة البيولوچية لاستعادة التوازن والإصحاح الإيكولوچى – توظيف رشيد للمعلوماتية والرقمنة digitalisation . ويعترف بأن البعض يفضل تصور الأرض ككائن حى ، وفقاً لفرضية «جايا» GAIA التى يدعو لها لفلوك، مؤكداً أنها قادرة على تصحيح وتوفيق أوضاعها إذا ما ساعدناها على ذلك ، فى مقابل تصورها «كسفينة فضاء أرضية» كما تدعو إليه مجموعته .

ويرى هوفمان فى نقده أن اعتماد ماركلى على قيام الموجة الرابعة على أكتاف الطرح الشعبى لتوفلر للموجة الثالثة والتغير المجتمعى الذى تحدثه يقلل من علمية المفهوم ، ويجعله يعتمد فى النهاية على شطحات «الوعى الكوكبى» و«النسق العقلى» noetie paradigm التى لم تترسخ فى أرض الواقع بالقدر الكافى . ويشير هوفمان إلى مفهوم موازٍ تدفع إليه «نظرية ما بعد الحداثة» رغم عدم استكمال مقوماتها . ويصاحب ذلك الابتعاد عن «العلم النيوتنى» لصالح ميكانيكا الكم ونظرية الفوضى أو الشواش chaos theory ، مع الإنجراف نحو الذاتية بدلاً من الموضوعية ، وظهور اتجاهات علم نفس الأعماق والروحانية الخلاقة ... إلخ . إن الحركة الإيكولوچية الحديثة ترتبط كثيراً بهذه المفاهيم ، مما قد يجعل «ما بعد الحداثة» معلماً للعصر الجديد . والحديث عن الايكولوچيا يقودنا إلى نقد هوفمان لفكرة «الحمل الايكولوچى» كدافع أكبر للتغير ، حيث يفضل ألا ينظر إليه كمتغير رئيسى، ولكن كموحِّد ودامج لكل المتغيرات . ويتعرض هوفمان أخيرا للمبدأ المهيمن عند ماركلى الخاص بعدم النظر إلى الإنسان باعتباره سيد الأرض وما عليها ، والعمل على أنسنة المحيط الذى يعيش فيه ، بشكل يقترب من فكرة «جايا» المذكورة سابقاً . ويذكر أراء من يلح على عدم تهربنا من الواجب ، فالإنسان هو الكائن المسئول ، وعليه أن يجعل الأرض وما عليها موضوع

دراسته لفهم نظمها المعقدة ، دون أن نخدع أنفسنا بتهويمات لا عقلانية ، مهما كان نبل مقصدها .

* والاتجاه الأخير ، الذى نعرضه بالنسبة للموجة الرابعة ، ينطلق من جزئية «البزنس» ليوجه خطابا أخلاقياً عاماً بالنسبة لنشاط البشر وعلاقاتهم المتشابكة. ومع تكرر الخطاب الأخلاقى الموجه إلى البزنس (بلا طائل) ، شد انتباهنا كتاب ماينارد ومرتنز ، الذى جعل من «الموجة الرابعة» عنوانا له . وفى نفس الوقت ، شد انتباهنا أيضاً النقد الحديث لهذا الكتاب ، الذى قدمه بوب ديبولد تحت عنوان «استعراض مفهوم الموجة الرابعة» . لقد ظهر كتاب ماينارد ومرتنز عام ١٩٩٣ ، وظهرت له طبقة شعبية عام ١٩٩٦ ، ولا أظنه قد لقى اهتماما كافيا ، ربما لفقدان الثقة فى الخطاب الأخلاقى وجدواه . لقد دعى المؤلفان أصحاب «البزنس» وشركاتهم إلى قيادة الرحلة من الواقع إلى مستقبل أفضل ، تقوم فيه شركاتهم بضرب المثل للمؤسسات الأخرى فى المجتمع. إن عليهم لعب دور «مواطنى العالم» ، الذين يخدمون مجتمعاتهم المحلية والكوكبية معا ، مع الدعوة إلى المساواة الاقتصادية وإعادة تعريف الثروة ، والعمل على تحسين الظروف الصحية لموظفيهم وعائلاتهم ، باعتبارها قطاعاً كبيراً وهاماً فى كل مجتمع . إنهم مدعوون إلى تقديم نماذج طيبة للتنمية المستدامة ، وإلى أخذ دور الريادة فى الاستخدام الأمثل للتكنولوچيا ، مع الالتزام بتوفير فرص التعليم المستمر . إن المؤلفين «يحلمان» بشركات ومؤسسات مجتمعية يقودها رجال ونساء يستشعرون مسئوليتهم نحو مستقبل الإنسان الحديث ، الذى سيعيش فى ظل هذه الموجة الرومانسية ، التى يمتزج فيها الخطاب الروحانى الأخلاقى بفكرة جايا .

وفى نقده لهذا «الخطاب البليغ» ، يشير بوب ديبولد إلى كتابات ريفيكين وهلبرونر ودراكر ، التى تشير إلى «عصر ما بعد السوق» و«مجتمع ما بعد الرأسمالية» و«النظام العالمى الجديد» (وبالمناسبة ، ظهر كتاب حديث لچيرمى ريفكين تحت عنوان «اقتصاد الهيدروچين» يشير إلى توظيف الطاقة فى لعبة الأمم والإنفراد بالقوة ، وهو يذكرنا بسيناريوهات الحروب فى عالم اليوم) . ويؤكد ديبولد حيرة الخطاب الأخلاقى ، وتحديات التسارع التكنولوچى فى إحلال الجديد باستمرار ، ويدعو فى مواجهة ذلك إلى

الانتباه إلى أهمية الفكر المنظومى والتعليم المؤسس . كما يبشر بعودة الاهتمام بالفلسفة للتعامل برؤية جديدة مع المعطيات الجديدة للمعلوماتية والواقع الافتراضى التى تسود العالم . وكأنه بهذا كله يدعو إلى موجة رابعة أكثر عقلانية وعمقا ، لا تعتمد فقط على خطاب أخلاقى هش لا يستطيع التعامل مع ما فى عالمنا من شراسة .

ثانيا : الموجة الرابعة : رؤية مختلفة :

بعد استعراض المفاهيم المطروحة للموجة الرابعة ، والاستفادة من جوانب قوتها وضعفها ، وانطلاقا من الإقتناع بتقادم الموجة الثالثة ، الذى شرحه توفلر بوضوح جعل من السهل أن نطبقه عليها ، يحق للقارئ أن يتساءل : إذا كانت الشروح السابقة غير كافية ، أو وافية لنتبناها ، فما هى ملامح الموجة الرابعة التى نتصورها ، وطبيعة صدمة المستقبل الجديدة التى تكمن وراءها ؟ وباختصار ، ما هى رؤيتنا المختلفة للموجة الرابعة ولصدمة المستقبل الثانية ؟ وهل يأتى الاختلاف من المفارقة والرفض ، أم من الاستيعاب والإضافة والتركيب والإدماج فى صورة جديدة ؟ إن المعالجة ، التى أقدمها للإجابة على هذه الأسئلة ، لا تعدو أن تكون «تمرينا عقليا» أدعو القارئ إلى المشاركة فيه من خلال فعل «القراءة النقدية» .

إن مراجعة النماذج المحدودة ، التى أوردناها بالنسبة للتصورات المختلفة للموجة الرابعة ، تشير إلى عنصر مشترك : الحمل الزائد . فنموذج باونز يشير إلى «الحمل المعلوماتى» الزائد . ورغم الوفرة «المجهدة» للمعلومات ، أو بسببها فى بعض التحليلات الذكية ، انتهى الحال فى عالم اليوم إلى الحديث عن الفجوة المعلوماتية information gap والانقسام الرقمى digital divide ، إن السياحة فى الفضاء المعلوماتى للإنترنت تقدم لك الكثير ، إذا امتلكت المعرفة والقدرة الانتقائية عليها . والخريطة المعلوماتية للعالم توضح الفروق الحادة بين مختلف مناطقه . كما أن المتاح ، رغم كثرته وكرمه ، لا ينفى وجود القليل الأكثر الأهمية ، سواء المسعر (الذى لا تحصل عليه إلا بمقابل) أو المصنف classified (الذى لا تحصل عليه أبدًا ، لأنه فى نطاق المحظور) . والحصول على المعلومات لا يكفى فى كثير من الأحيان للقدرة على توظيفها ، دون التعامل مع قوانين وقواعد الملكية الفكرية وبراءات الاختراع ، والتوقيع على الاتفاقيات المنظمة لذلك ، والتى يرى البعض فيها الكثير من الجور .

ناهيك عن أن المعلـومات التى تستخـدم فى تكنولوچيات مزدوجة الغرض dual - purpos technologies ، مع ملاحظة أن كل التكنولوجيات الجديدة والبازغة ذات القيمة المضافة العالية (المعلوماتية – التكنولوجيا الحيوية – المواد الجديدة – الطاقة – الفضاء – أعماق البحار – بل والمخ والتكنولوجيات البازغة التى تتعامل معه) تندرج تحت التكنولوچيات مزدوجة الغرض (التى يمكن أن يستخدم الكثير من تطبيقاتها فى السلم والحرب) – وتأتى فى نهاية هذه الرحلة ، الشاقة بالنسبة لقطاعات كبيرة من البشر ، أهمية امتلاك القدرات العلمية والفنية وتنمية القدرات البشرية التى تستطيع توظيف المعلومات وتطبيقاتها فى حل مشكلاتها . ورغم اعترافى بما فى هذا الطرح من مذاق «عالم ثالثى» ، وانزعاج من شدة الفجوة والانقسام رغم الحمل المعلوماتى الزائد ، إلا أن له أبعاداً بشرية عامة لا تخطئها العين . إن إدارة العالم لا تعتمد على المعلومات (والمعرفة) المتاحة فقط ، بل تعتمد بشكل أكبر على المسعر والمحظور (الأسرار التكنولوچية للشركات الكبرى ، والمعلومات العسكرية والمخابراتية على سبيل المثال) . وهنا ، لا يكفى أن نكرر مقولة أن «المعرفة قوة» ، دون أن نذكر أن حملها الزائد ، مع التفاوت الهائل فى القدرة على توظيفها لصالح البعض ، يسمحان بالتطرف فى هذا التوظيف (غطرسة القوة) . وممارسة هذه الغطرسة يمكن أن تتم بعشرات الصور ، بدءاً بالتوصل إلى دواء هام والتحكم فى سعره ، وانتهاءً بامتلاك سلاح فتاك جديد وعدم كبح جماح الرغبة فى تجربته الحية ، مروراً بغطرسة المنح والمنع والمعايير المزدوجة ، الذى يمارسها من يملكون على من لا يملكون .

وبالإضافة إلى هذا التحليل للحمل المعلوماتى ، نرى تضافره مع ما يشهده عالم الاتصالات من انفجار يجعل كلمة «ثورة» تبدو متواضعة فى وصفه ، ونفضل عليها عبارة «الحمل الاتصالى» communication load الزائد ، إن هذا التضافر يزيد من تطرف ملامح «العصر الافتراضى» الذى ذكره باونز ، ومن حدة التناقضات التى تتفاعل فيه وتتضخم تأثيراتها على كافة أنشطة البشر . لقد مرت الرحلة من تبادل الرسائل بإشعال النار وقرع الطبول وإطلاق الحمام الزاجل ، إلى تبادل الرسائل عبر البريد الإلكترونى والتليفون المحمول ، مروراً بساعى البريد الذى نشكره مقدما على توصيل

الرسائل التى يحملها على الدواب والاتصالات السلكية واللاسلكية مع استخدام الألياف الضوئية والأقمار الصناعية ، نقول لقد مرت هذه الرحلة بسرعة نسبية فى حياة البشر . إن من علماء الاجتماع من يرى أن تبادل نصوص الرسائل القصيرة عبر التليفون المحمول (النصنصة texting) ، الذى يتم مع التنقل المستمر دون حدود زمانية أو مكانية ، يمثل مرحلة جديدة فى تاريخ الإنسان ونشاطه . وباختصار ، أدى الحملان المعلوماتى والاتصالى معا إلى تغيير العالم . ورغم عدم اكتمال ملامح التغير المتسارع ، الذى لم تستنفذ طاقته الهائلة بعد ، إلا أن هنالك الكثير من الآثار والتناقضات الواضحة للعيان . إن الشفافية التى تقدم كأحد الملامح الأخلاقية لهذا العصر ، تصاحبها تناقضات السرية وحدود الخصوصية . والمحاسبة التى تسمح بها الإتاحة المعلوماتية لا تمنع حالات الفساد الكبرى فى دوائر السياسة والمال ، بل والبحث العلمى وغير ذلك من الأنشطة (أعلن عن إفلاس ١٩١ شركة أمريكية، وأدينت كبريات الشركات بالفساد والتضليل المعلوماتى) .

وإذا اكتفينا بهذا التحليل «للحمل المعلوماتى» ، وانتقلنا إلى «الحمل الإيكولوچى» الذى قدمه ماركلى ، أو «الحمل الأخلاقى» الذى نستخلصه من طرح ماينارد ومرتنز ، يمكننا أن نتوصل إلى نتيجة مشابهة . فالمسئول الأكبر عن استنفاذ الموارد الطبيعية وتلوث البيئة يرفض المشاركة الجدية فى تحمل مسئولية الإصحاح remedation البيئى والإيكولوچى (عدم التوقيع على اتفاقية كيوتو وفشل قمة چوهانسبرج عام ٢٠٠٢ ، يعدان نموذجان كاشفان لذلك) . فمنذ بداية عصر الفضاء ، ورؤية صورة كوكب الأرض ، الذى يمثل مسكننا الوحيد فى الكون حتى الآن ، رغم قيام أعداد قليلة منا بزيارة أماكن أخرى ، منذ بداية هذا العصر نتحدث عن «المستقبل المشترك» لهذه «القرية الكوكبية» أو «سفينة الفضاء الأرضية» . ورغم ما فى الحديث عن «المستقبل المشترك» من أبعاد عقلانية وأخلاقية رائعة ، إلا أن «الفكر» يجب أن يتوجه إلى «الفعل» . وهنا يبدأ تفاعل التناقضات ، المنطلقة من غطرسة القوة والمصالح الضيقة المتطرفة ، ويخفت الخطاب الأخلاقى رغم أهميته المستقبلية .

وهذا ينقلنا إلى تناقضات «الحمل الأخلاقى» وتفاعلاته . هل يكفى

الخطاب الأخلاقى لإصلاح أحوال «البزنس» ؟ وهل يمكن للشرعية أن تمارس فى ظل الإصرار على المعايير المزدوجة ؟ وهل تكفى الدعوة إلى السلام مع تهميش آلياته وسحب اختصاص المؤسسات المؤهلة لإقراره ؟ وهل يمكن أن يستفيد البشر من منجزات العلم والتكنولوچيا مع «الرسملة» الشرسة لتطبيقاتها ؟ وما مصير «التنوع البشرى الخلاق» الذى تتحدث عنه اليونسكو أمام التفاوت فى القدرة التنافسية فى كل المجالات ، بما فى ذلك الإعلام ، وتصور «حق التدخل» فى تعليم أبناء الثقافات المختلفة ، حتى يصيروا مواطنين صالحين وديمقراطيين فى عالم يتطرف غيرهم فى فرض ملامحه والتدخل فى مصيره ؟ تحليل عالم ثالثى آخر ؟ نعم .. لكنه أيضاً تحليل بشرى يتفق عليه الكثير من عقلاء الشمال والجنوب ، ممن يزعجهم تناقضات «الحمل الأخلاقى» .

لقد أوردت التحليل السابق «للأحمال» المذكورة ، والذى ينطبق على أية أحمال أخرى نتصورها فى أوجه النشاط البشرى المختلفة ، لنصل فى النهاية إلى رؤيتنا الخاصة «للموجة الرابعة» ، التى يمكن أن يلخصها المخطط التالى :

حمـل زائـد

|

تفاعلات متسلسلة وتضخيم

|

أفعال وردود أفعال متطرفة

|

ممارسات ، أغلبها مغلوط ، لحق التدخل

ومع مراجعة ملامح الحضارة البازغة ، التى تقوم على سياسة الموجة الثالثة ، التى قدمها توفلر ، نرى الفارق الكبير بين «الموجة الثالثة» و«الموجة الرابعة» ، التى لا يصلح معها «التكيف» . إن المطلوب هو «المواجهة» البشرية العريضة ، للتعامل مع ما فى هذه الموجة الطاغية من فرص ومخاطر . إننى أدين لأصدقائى من التربويين ، الذين حذرونى كثيراً من التعامل الإيجابى مع مصطلح «التكيف» ، متأثراً فى ذلك «بنظرية التطور» . فالتكيف فى هذه النظرية يلعب دورين عبقريين ، فهو الوسيلة والنتيجة فى آن واحد . إننى أعترف أن بعض الأمور تستدعى المواجهة ، وإن كنت ما زلت مقتنعاً بأن

التكيف قد يكون متضمناً فى العديد من أشكال المواجهة . وهذا هو الفارق بالنسبة لنظرية يمكن تعميمها على كل أشكال الكائنات الحية بما فى ذلك الإنسان ، وبين خصوصية الإنسان ، التى تمكنه من المواجهة بالتكيف وبغيره. ورغم أملى الشديد فى أن يكون الفارق واضحاً ، وإعترافى بأننى مسئول عما قد يكون ملتبساً فى شرحى له ، إلا أن الأمر قد يستدعى تفصيلاً أكبر «لفقه المواجهة» !! وهذا أمر يخرج عن حدود هذه الكراسة.

إن المخطط السابق يقودنا إلى قمة «الموجة الرابعة» ، التى حملها العنوان الفرعى للكراسة ، والتى ذكرتها فى مقدمتها . إن هذه القمة تتمثل – فى رأيى – فى الانتقال من ممارسة حق تدخل الإنسان فى الطبيعة ، إلى حق التدخل فى إنسانيته نفسها ، والدعوة إلى تجاوزها . ولا أعنى هنا التطرف الملحوظ فى التدخل فى ثقافته وأنشطته ، فلقد فصلنا ذلك فيما سبق . إننى أعنى التدخل فى طبيعته ، وصولاً إلى المستقبل ما بعد الإنسانى . ورغم عدم تأكدى من أن هذا هو خير ختام للكراسة ، إلا أنه «فرض كفاية» يوجب على البعض أن يمارس من خلاله المتابعة النقدية والإضافة الفكرية وتقديمهما لأبناء أمته . ولا أنكر عشقى لهذا الفرض ، وإصرارى على ممارسته !!